البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

ملف العدد

البلاغة والخطاب:
من إنتاج المعنى إلى تحليله

العدد المزدوج
15-16
شتاء/ربيع
2026

مجلة فصلية علمية محكمة

البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

المدير المسؤول

- محمد عدناني

هيئة التحرير

- أحمد قادم
- إدريس الخضراوي
- سعيد العوادي
- عبد الخالق عمراوي
- عبد العاطي الزياني
- عبد العالي العامري
- فريد أمعضشو
- محمد صغيري
- مصطفى الغرافي

هيئة المراجعة والتدقيق

- أيوب الطاهري
- حميد تعدويت
- عثمان بلفقيه

الهيئة الاستشارية

- أحمد بوحسن
- بلقاسم الجطاري
- حافظ إسماعيلي علوي
- سعيد جبار
- سعيد يقطين
- شكري المبخوت
- عبد العزيز لحويدق
- عبد الغني أبو العزم
- عبد الفتاح لحجمري
- عبد الله الغذامي
- عبد النبي ذاكر
- علي المتقي
- مبارك حنون
- محمد بازي
- مصطفى الشليح

البلاغة والنقد الأدبي - مجلة فصلية علمية محكمة

عنوان المراسلة: تجزئة الإسماعيلية، الرقم 877، القنيطرة، المغرب

البريد الإلكتروني: elbalaghawaennaqedeladabi14@gmail.com

أو adnanimohammed@gmail.com

الهاتف: 35 12 65 06 أو 28 13 88 61 06

الملف الصحافي: 6/014

رقم الإيداع القانوني: 2014PE0036

ردمد: 2351-8790

الغلاف من تصميم الفنان: محمد السالمي

لا تعبر المواد المنشورة في المجلة عن وجهة نظر هيئة التحرير أو الهيئة الاستشارية

قواعد النشر في المجلة

تنشر مجلة «البلاغة والنقد الأدبي» جميع الدراسات والمقالات الأصلية والمترجمة من أي لغة أخرى في مجال اختصاصها، المراعية لأدبيات البحث العلمي.

وتيسيرا لعمل هيئة التحرير، والهيئة العلمية للمجلة، ولإعطاء المساهمة حظا أوفر في النشر، يرجى الالتزام بالأدبيات الآتية:

- ترسل المساهمات على البريد الإلكتروني للمجلة elbalaghawaennaqedeladabi14@gmail.com، مكتوبة بالوورد، بحجم 14، وبخط Simplified Arabic في المتن.
- توضع الإحالات في أسفل كل صفحة، مع الاقتصار على اسم المؤلِّف، والمؤلَّف، والصفحة فقط. وتُثبت المصادر والمراجع والدوريات باللغة العربية أو الأجنبية في آخر المساهمة (اسم المؤلِّف، اسم المؤلَّف، دار النشر، سنة النشر، ورقم الطبعة). وإذا كان مقالا من مجلة، يوضَع بين مزدوجتين، ويُذكر العدد أو المجلد والسنة. ويُراعى في إعداد كل ذلك الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.
- يُؤْمَل ألا يتجاوز عدد الكلمات 5000 كلمة.
- يُرفَق النص المترجَم من أي لغة بالنسخة الأصلية له، مع ضرورة التوثيق.
- يُبَلَّغُ أصحاب المساهمات بتسلم مساهماتهم العلمية فور التوصل بها، وتحال على هيئة التحرير، والهيئة العلمية للمجلة للبث فيها على نحو سري. ويُبلغ أصحاب المساهمات المجازة بذلك.
- تَطلب هيئة التحرير، في إطار التعاون العلمي، إجراء التعديلات الضرورية عند الاقتضاء. اختزالا أو توسيعا أو تصويبا.
- لا تعاد المساهمات لأصحابها، سواء تلك المقبولة للنشر، أو التي لم تُقبل.

المرجو أن يلتزم الباحثون بهذه القواعد تيسيرا لعمل الساهرين على المجلة

المحتويات

كلمة العدد (هيئة التحرير) 5

■ **دراسات وأبحاث** 7

– القيم المتشابكة: تشكيل البناء اللغوي والأدبي في النص المسرحي رهان جمالي وفكري (بلقاسم الجطاري) 9

– في إشكالية المعرفة المتجسدة ونظرية الاستعارة التصورية: نحو منظور معرفي (بوشعيب ملوك) 33

– الأدب الرقمي في التجربة المغربية (سعيد يقطين وزهور كرام نموذجين) (سعيد الفلاق) 47

– بلاغةُ التكوين بين اللّقطة السينمائيّة والمشْهَد المسرحيّ (المصطفى كيتو) 61

– التَّأْويلِيَّاتُ بالمَغْرب: محاولة في النَّمْذَجة (محمد بازي) 79

– تحولات الفكر النقدي عند محمد مفتاح: التلقي والتأويل ومشكاة المفاهيم نموذجين (محمد النوسفاوي) 117

■ **ملف العدد**: البلاغة والخطاب: من إنتاج المعنى إلى تحليله 131

– بلاغة الهايكو في ديوان «خنافس مضيئة» للشاعر المغربي سامح درويش (أيوب الطاهري) 133

– حِجاجُ المُؤَلِّف في الرواية العربيَّة الحديثة: محاولةٌ أوليةٌ في التنظير والتطبيق (حسن المودن) 153

– وظائف بلاغة التجسيد في المثل القرآني (خديجة شقرون) 171

– هوية مُهمَّشة وذاكرة مقاومة: قراءة حجاجية في رواية «الموريسكي» لحسن أوريد (رشيد وديجى) 189

– رمزية الماء في ثلاثة نصوص رِحْلية مغربية: عندما ينسجُ الرحّالةُ بخيطِ الماء حَبْكةَ السَّرد (محمد حماني) 207

– بلاغة الإيتوس في شعر محمود درويش: دراسة لنماذج (محمد واقديم) 219

– الحقول الدلالية والمحدِّدات النصية في قصيدة النثر المغربية: تجربة عبد اللطيف الفؤادي نموذجا (معاذ بن طالب) 233

– الروابط الحجاجية والنزعة الحوارية في خطاب محمد عابد الجابري (منير بورد) 249

– بلاغة التسمية في الشعر العربي القديم: دراسة تطبيقية في شعر عروة بن الورد (يونس آيت ابراهيمي) 275

■ **ترجمة**:

– بيير ماشري: ما يفكّر فيه الأدب/ إليونور روفيرزي (ترجمة: إدريس الخضراوي) 293

■ **مفاهيم وقضايا بلاغية**:

– النقد الثقافي: دراسة في المفهوم والآليات (صلاح الدين أشرقي) 311

■ **سيرة وحوار**:

– شكري المبخوت: باحث/ مبدع تآلفت فيه المختلفات (محمد عدناني) 337

■ **قارئ وكتاب**:

– بلاغة الأكل وجدلية القول: قراءة أركيولوجية في كتاب «الطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي» لسعيد العوادي (عبد العاطي السطوري) 349

قارئ وكتاب

كتاب جماعي محكّم

الطّعامُ أُفقًا للقراءَة

أعمالٌ مهداةٌ إلى البلاغيّ سعيد العوادي

تنسيق
مصطفى رجوان
عادل المجداوي

نوز المعرفة

قراءة أركيولوجية في كتاب «الطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي» لسعيد العوادي»

عبد العاطي السطوري[1]

المقدمة:

لم يكن الطعام، في التراث العربي، شأنا عارضا أو تفصيلا هامشيا في نسيج الثقافة، بل ظلّ منذ البدايات الأولى عنصرا كثيفَ الدلالة، يتجاوز وظيفته الإشباعية ليغدو علامة اجتماعية، ورمزا أخلاقيا، وأداة بلاغية لتكثيف المعنى، وتمثيل القيم. وقد وعى النص العربي -شعرا ونثرا- هذا البعد المركّب للطعام، فجعله موضع تصوير، ومجال تشبيه، وساحة صراع، ومسرحا يتقاطع فيه الكرم والبخل، والضيافة والحرمان، والدنيا والآخرة.

في هذا السياق المعرفي والبلاغي، يأتي كتاب «الطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي»، ليقترح مقاربة مغايرة، تُعيد مساءلة الطعام، لا بوصفه موضوعا أدبيا فحسب؛ بل باعتباره نصا موازيا للنص اللغوي، ونسقا دلاليا متشعبا؛ يسكن عمق الخطاب العربي. فالمؤلف لا يقرأ «ما قيل عن الطعام» فحسب، بل ينفذ إلى «كيف قيل؟»، وإلى الآليات البلاغية التي اشتغلت بها الثقافة العربية على تحويل الغذاء إلى خطاب، والحمد لله الذي أفاض علينا بصنوف المأكولات، وميزنا بمستحلى اللغات، وجعل في «اللسان» آلة للبيان والتذوق، تمزج الطيبات بالاستعارات.

إن المتأمل في هذا العنوان الموحي «الطعام والكلام»، قد يظن للوهلة الأولى أنها علاقة صوتية عابرة، لكن الحقيقة الثاوية خلف هذا الجمع، تشير إلى صلات غائرة؛ إذ ليس من

1. كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض - مراكش/ المغرب.

«التوافق الساذج أن تلتقي اللفظة واللقمة في فم الإنسان، فتلفظ الأولى ليبني بها الإنسان حصنه المعنوي ضد الخواء، وتلقم الثانية ليبني بها حصنه المادي ضد الجوع»[1].

لا يندرج هذا الكتاب ضمن «الثقافة البطنية» المبتذلة، بل هو حفر معرفي يثبت أن الطعام حامل لتاريخ إنساني كامل، تتقاطع فيه قضايا الهوية والغيرية. لقد آمن العوادي أن التراث العربي لم يكن يكتب النصوص فحسب، بل «يطبخ» كينونته؛ فجعل من الكرم «قرى للأشباح» ومن الكلام «قرى للأرواح»[2]. ومن هنا، تأتي هذه الدراسة لتقلب أرض التراث، مستعينة بأدوات المنهج البلاغي المنفتح على الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، لتكشف كيف تسربت «بقايا الطعام» إلى علم البلاغة، وكيف أضحى الذوق حكما أسمى في نقد النصوص، وكيف استحال الطعام في المتخيل المقدس أداة للثواب والعقاب «الذي يجد مفتاحه في قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة الطور الآية:9]»[3].

تنفتح هذه الدراسة على منطق الكتاب الحفري، الذي يستلهم أدواته من البلاغة العربية، ويغتني بمكتسبات النقد الثقافي الحديث، ليكشف عن طبقات الدلالة المختبئة خلف الاستعمال اليومي للألفاظ المرتبطة بالأكل والشرب، فكل لفظة، وكل صورة، وكل مشهد طعامي، يتحول في هذا المنظور إلى وثيقة ثقافية، وإلى أثر رمزي يشي بتمثلات المجتمع لنفسه وللعالم.

وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية موسّعة لهذا الكتاب، ترصد منطلقاته النظرية، وتفكّك أدواته المنهجية، وتقيّم إسهامه في تجديد البلاغة العربية، من خلال ربطها بمجالات النقد الثقافي وأنثروبولوجيا الغذاء، دون التفريط في صرامتها المفهومية، كما تهدف إلى إبراز القيمة المعرفية لهذا العمل بوصفه محاولة لإعادة الاعتبار إلى البلاغة باعتبارها علما للمعنى المتجسّد، لا مجرّد علم للتزيين اللفظي.

وتطمح هذه المقدمة إلى وضع القارئ في قلب هذا الرهان العلمي، مهيئة السبيل لقراءة تحليلية معمقة للكتاب، تستجلي منطلقاته، وتفكك محاوره، وتبرز قيمته الإبستمولوجية، والجمالية ضمن مسار تجديد الدرس البلاغي العربي.

1. . سعيد العوادي، الطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1/ 2023م، ص8.
2. نفسه، ص9.
3. نفسه، ص87.

وصف الكتاب:

ينتصب كتاب «لطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي»، بوصفه مشروعا نقديا متكاملا، ينهض على رؤية منهجية مبتكرة، تُعيد التفكير في البلاغة العربية من زاوية غير مألوفة، وهي زاوية الطعام بوصفه خطابا ثقافيا وجماليا، فالكتاب لا يقتصر على جمع الشواهد أو تصنيف النصوص، بل يسعى إلى بناء أفق نظري يُمكّن من قراءة العلاقة العميقة بين الأكل والكلام، وبين الجسد واللغة، وبين الحاجة والرمز.

يقع كتاب «الطعام والكلام» في هيكل «مطبخي» فريد، حيث قسّم الباحث دراسته إلى ثلاثة «أطباق» كبرى تسبقها «مفتحة» ويختتمها بـ «تحلية». يمتد الكتاب عبر مساحات زمنية تبدأ من عصر الجاهلية وتمر بصدر الإسلام والعصر العباسي، وصولا إلى تماسات مع الفكر الحديث.

يعالج الطبق الأول (حقل الطعام) رحلة الطعام في الدنيا، بدءا من البنية اللغوية للفعلين «أكل» و«شرب»، موضحا أن الأكل هو عملية «تنقّص» من العالم لتملكه والسيطرة عليه[1].

ثم ينتقل إلى سيمياء الكرم بوصفه صراعا ضد الفناء، وصولا إلى «ضيافة الآخرة» في الجنة والنار، حيث يحلل الإعجاز الطعامي والتصوير البلاغي في الخطاب المقدس، مبينا كيف تتحول اللذة إلى ثواب والألم إلى عقاب؛ وذلك عبر «استعارة الأكل، واستعارة الذوق، واستعارة الشرب»[2]، في نسق تحليليّ يجمع بين العمق الدلاليّ والدّقّة الأكاديميّة.

أما الطبق الثاني (جسور الطعام)، فيركز على «مادية المصطلح البلاغي»، يكشف العوادي هنا كيف أن «البلاغة» و«الفصاحة» و«الأدب» و«الذوق» ليست سوى استعارات هاجرت من المطبخ إلى ردهات العلم؛ حيث وجد «صلات غائرة تربط مصطلح البلاغة بالتبلّغ الأكلي، ومصطلح الفصاحة باللبن الصافي، ومصطلح الاستعارة باستعارة الأواني المطبخية، ومصطلح الذوق بتذوق المأكل والمشارب. ولم يسلم اختيار البلاغيين لشواهدهم، خصوصا الكنائية من المرجعية الطعامية»[3]. كما يدرس «الترميز الثقافي» لعناصر الطعام الأساسية كالخبز والملح والنار، مبرزا أبعادها العقدية والاجتماعية.

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص16.
2. نفسه، ص75.
3. نفسه، ص371–372.

وفي الطبق الثالث (أدبية الطعام)، يستعرض الباحث تجاور الشعر والنثر، محللا نظام «القِرى» عند حاتم الطائي، وشعر المآكل عند ابن الرومي والمأموني البخاري «الذي يعد، بحق، تلميذا نجيبا لابن الرومي في شعر الطعام»[1]. كما يغوص في النثر ليفكك «بلاغة التطفيل» بوصفها احتجاجا اجتماعيا، ويحلل «مغالطات خطاب البخل» عند الجاحظ وغيره «من خلال الاستعانة بالثالوث الطعامي البشري: الكريم، والطفيلي، والبخيل. فجاء الطعام موهوبا ومنهوبا، ومرهوبا»[2]؛ في ربط بليغ بين الرمز الحسي والدلالة الأخلاقية.

كما يُحسب للكتاب أنه يعيد الاعتبار لنصوص طالما وُضعت على هامش الدرس الأدبي، مثل كتب الطبيخ، وأخبار الطفيليين، ووصف المآدب، كاشفا عن طاقتها البلاغية والرمزية. وبهذا، ينجح العوادي في نقل الطعام من الهامش إلى المركز، ومن العرضي إلى الجوهري، مؤسسا لقراءة بلاغية جديدة للتراث العربي، تجعل من الأكل مدخلا لفهم الثقافة، ومن الكلام مرآة للجسد والتاريخ معا.

مطبخ الكتاب: قضايا الكتاب الأدبية والنقدية

إن «مطبخ» هذا الكتاب يغلي بقضايا إشكالية تكسر الفصل التقليدي بين المادة والروح؛ فاللسان هو القنطرة المشتركة التي تعبر عليها التجربة الإنسانية من الحس إلى التجريد، إذ لا يكتفي المؤلف بتناول موضوع الطعام من زاوية وصفية أو سردية، بل يحوّله إلى فضاء تفكير بلاغي وثقافي، تتقاطع فيه اللغة، والجسد، والعقيدة، والخيال. فالمطبخ هنا ليس مجازا شكليا، بل بنية معرفية تعبِّر عن وعي نقدي بطبيعة العمل العلمي؛ بوصفه فعل تركيب وتهييء وتقديم.

ينبني هذا المطبخ على ثلاث ركائز كبرى: أولها، استثمار البلاغة العربية بوصفها علما للمعنى، لا مجرّد جهاز اصطلاحي، حيث تتخذ الصور الطعامية منزلة الشواهد البلاغية التي تُظهر اشتغال اللغة في سياقاتها الاجتماعية والرمزية. وثانيها، الانفتاح على النقد الثقافي، بما يسمح بتحويل الطعام إلى مرآة تُرى فيها القيم، والسلطة، والتراتبية الاجتماعية، والعلاقات بين الدنيا والآخرة. أما ثالثها، فيتمثل في الجرأة المنهجية التي تدفع المؤلف إلى إعادة الاعتبار لنصوص مهمّشة في المدونة العربية، وجعلها مادة للتحليل البلاغي.

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص248.
2. نفسه، ص369.

الطبق الأول، حقل الطعام: بين ضيافة الدنيا وضيافة الآخرة

يفتتح سعيد العوادي مطبخه النقدي بالولوج إلى حقل الطعام، باعتباره المجال الأرحب الذي تتداخل فيه حاجات الجسد مع تمثلات الروح، وتتشابك فيه اليوميات بالمطلقات، فحقل الطعام، كما يتصوّره الكتاب، ليس مجالا ماديا صرفا، بل فضاء دلاليا كثيفا تتوزع فيه الخطابات، وتتكاثف فيه القيم، وتُستعاد من خلاله بنية المجتمع العربي في علاقته بالكرم، والحرمان، والجزاء.

ينبني هذا الحقل على رصد «رحلة الطعام» من حيز المائدة إلى فضاء المجتمع والدين؛ يحلل العوادي «أفعال الأكل والشرب» بوصفها بوابات للثقافة؛ فالأكل هو تحويل للمادة إلى هوية، «وتتجه هذه القدرة التحويلية نحو بناء خطاب لا يؤمن ببلاغة المقام، وإنما يؤسس لبلاغة لا مقامية تعنى بالفضح والعري، والتي لا تأبه بالتراتبية الاجتماعية والسياسية وما يسيجها من منظومة للقيم (...) إنها بلاغة أن تقول كما تريد، لا كما تريد الجماعة»[1]. وفي «نظام القرى»، يبرز الصراع الوجودي ضد الفناء، حيث تتحول النار والكلب إلى قوى مساعدة لهداية الضيف، بينما الليل والقرّ والزوجة العاذلة تمثل قوى معيقة يغالبها الكريم ليثبت نبل عِرقه، «ويصل مشهد الإكرام والقرى إلى أقصى غاياته، حين يبالغ شعراء الكرم في الاحتفاء بضيوفهم، وإن اعترضهم في ذلك ضيق ذات اليد؛ فإذا غابت عنهم النوق لم يفرطوا في الحقوق، إذ أجسادهم مستعدة لتكون مأدبة لضيوفهم»[2].

أما في «ضيافة الآخرة»، فيتجلى الطعام بوصفه أداة إعجازية وتصويرية، فالجنة هي «المأدبة السرمدية» التي تتسم بالمثالية، حيث القطوف دانية والشراب لا يصدع الرؤوس، «عندما يتعلق الأمر بالمؤمنين في الجنة، ويكون شكلا عقابيا عندما يتعلق بالكفار والمجرمين في الجنة»[3].

وفي المقابل، يبرز «طعام النار» (الزقوم، الضريع، الغسلين) بكونها أدوات للتعذيب النفسي والجسدي، حيث يوظف القرآن «استعارة الذوق» والتهكم لتعميق شعور الندم لدى الكافرين، محولا الطعام من أداة حياة إلى وسيلة تدمير، حيث «يصبح طعام أهل النار منغّصا للصالحين من أهل الدنيا»[4]، محوِّلا اللذة إلى تدمير.

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص266.
2. نفسه، ص242.
3. نفسه، ص 371.
4. نفسه، ص100.

الطبق الثاني، جسور الطعام: من الطعام البلاغي إلى الطعام البليغ

يمثل هذا الطبق منعطفا مفصليا في كتاب الطعام والكلام، إذ ينتقل سعيد العوادي من مساءلة تمثلات الطعام في الخطاب إلى تفكيك الجسور التي تشدّه إلى البلاغة، لا بوصفه موضوعا مشبّها أو مستعارا فحسب، بل باعتباره منطقا معرفيا وصيغة تفكير، فالطعام هنا لا يعود مجرد استعارة جاهزة في الخطاب البلاغي، بل يتحول إلى مبدأ من مبادئ إنتاج المعنى، وإلى بنية ذوقية تُفهم بها اللغة ذاتها.

يكشف العوادي هنا عن «مادية المصطلح البلاغي» في أطروحة جريئة تثبت أن العقل البلاغي العربي استعار أدواته من واقع المائدة، فـ«البلاغة في أصلها مرتبطة بالُبلغة (زاد المسافر)، و«الفصاحة مأخوذة من خلوص اللبن من رغوته، و«الأدب» من المأدبة –الدعوة، كما في «أدب القوم إلى المأدبة»؛ أي دعاهم إليها. جاء في لسان العرب أن «الأدب: الّذي يتأدّب به الأديب من النّاس، سمّي أدبا لأنّه يأْدب النّاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة»[1].

ويعد مصطلح «الذوق» الجسر الأهم، إذ تحول من حاسة جسدية إلى ملكة نقدية تدرك أسرار النصوص، كما يحلل الباحث «الترميز الثقافي» لأصول الطعام؛ فالخبز هو «أم الطعام» ورمز الحياة والعقل، والملح هو رمز العهد والحكمة، والنار هي منار الكرم وصوت الحرب، وتبقى في نظام الكرم ذات رمزية أكثر غورا وعمقا. هذا «التحاقل» يثبت أن الكلمة عند العربي كانت تُذاق قبل أن تُفهم، وأن «الذوق السليم» هو الميزان الذي يفصل بين الغث والسمين في القول، «وإذا كانت توابل الطعام هي الملح والإبزار والكمون وغيرها، فإن توابل الكلام هي النحو والبلاغة، وفي كل يستحسن الذوق السليم الاعتدال والإصلاح، ولا شك أن هذا التتبيل الجيد للطعام والكلام مفتقر إلى عملية الإنضاج؛ إذ تمثل النار للطبخ ما تمثل الكتابة للأدب. فإذا كانت معظم النصوص الأدبية قد نضجت على نار الكتابة الهادئة، فإن النار قد كتبت منذ اكتشافها معظم النصوص الغذائية»[2]، فأبدع العوادي في ربط الذّوق البلاغِي بالحسِيّ الطّعامي، مجسدا الكلمة طعاما ينضج بنار الكتابة.

الطبق الثالث، أدبية الطعام: تجاور الشعر والنثر

يبلغ مشروع الطعام والكلام ذروته الجمالية حين ينتقل من فضاء التنظير والتأويل

1. محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1883م، ص43.
2. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص134.

الثقافي إلى حقل الأدبية الخالصة، حيث يجاور الطعام الشعرَ والنثر، ويتحوّل من عنصر دلالي أو بلاغي إلى مكوّن بنيوي في تشكّل الخطاب الأدبي، ففي هذا المستوى، لا يعود الطعام مجرد موضوع يُذكر أو صورة تُستعار، بل يصبح فاعلا جماليا يعيد تشكيل أنماط القول، ويعيد توزيع العلاقات بين اللغة واللذة، بين النص والجسد، وبين التعبير والتجربة.

في هذا الطبق، تبرز أدبية الطعام بوصفها تمثلات فنية رفيعة؛ ففي الشعر، يتربع حاتم الطائي على عرش الكرم الأسطوري، حيث يمتد كرمه لما بعد الموت في حكاية «أبي الخيبري»[1]. ويبرز ابن الرومي كشاعر «المطبخ» الذي حول وصف «الخباز» و«الزلابية» و«اللوزينج» إلى لوحات سينمائية تثير الحواس، متجاوزا مجرد الوصف إلى التشخيص الفني، «الخارجي الدقيق المخصب للخيال الأدبي إلى التعبير الرمزي الذي يجعلها شريكة في التعبير عن المواقف من الذوات والحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية»[2]. أما في النثر، فتتجلى «فلسفة التطفيل»، لكونها احتجاجا اجتماعيا مغلفا بالظرافة؛ حيث يبتدع الطفيليون ألقابا للأطعمة (مثل تسمية الثريد «جابر بن مطعم») ويؤولون القرآن تأويلا «طعاميا» للوصول إلى الموائد؛ فتوصل الباحث إلى أن»التطفيل هو رؤية طعامية للعالم تهدم عالم الكرم وتبني عالما بديلا»[3].

وفي المقابل، يحلل الكتاب «خطاب البخل» بوصفه بناء مغالطيا يسعى فيه البخيل لصيانة طعامه بحيل لغوية وتبريرات عقلية تزعم أن البخل هو «إصلاح للمال» والجود هو «إتلاف للنعمة»[4].

خاتمة الكتاب: تحلية القول في بلاغة الطعام

يخلص كتاب «الطعام والكلام» إلى أن الغذاء، في التراث العربي، ليس مجرد موضوع عابر أو صورة بلاغية عارضة، بل هو بنية دلالية متكاملة، تتداخل فيها اللغة بالثقافة، والجسد بالخطاب، واليومي بالرمزي؛ فمن خلال هذا المشروع الحفري، يكشف سعيد العوادي أن الطعام كان ولا يزال وسيلة مركزية لفهم الإنسان العربي لنفسه وللعالم من حوله، سواء في علاقته بالمجتمع، أو في تصوّره للجزاء الأخروي، أو في ممارساته الجمالية.

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، صص215-216.
2. نفسه، ص207.
3. نفسه، ص373.
4. نفسه، ص227.

لقد أثبت الكتاب أن البلاغة العربية، في أفقها الواسع، لم تكن علما شكليا يقتصر على الزخرف اللفظي، بل ممارسة ثقافية عميقة، تستثمر أدق تفاصيل الحياة اليومية لتحويلها إلى معنى. والطعام، في هذا السياق، كان أحد أكثر العناصر قدرة على تجسير الهوّة بين التجربة الحسية والتصور المجرد، وبين الخطاب الديني والواقع الاجتماعي.

وتبرز أهمية هذا العمل اليوم في سياق التحولات الراهنة للدراسات الأدبية، التي باتت تميل إلى قراءة النصوص من منظور ثقافي وتداولي، يكشف عن أنساق السلطة والتمثيل والمعنى. فكتاب العوادي لا يضيف فقط معرفة جديدة حول موضوع الطعام، بل يقدّم نموذجا إجرائيا يمكن الإفادة منه في دراسة موضوعات أخرى ظلّت خارج دائرة الاهتمام النقدي.

التقويم والمناقشة:

يمثّل كتاب «الطعام والكلام: حفريات بلاغية في التراث العربي» مشروعا نقديا يتجاوز حدود القراءة الموضوعاتية البسيطة ليقترح إعادة نظر جذرية في أدوات تحليل الخطاب التراثي؛ فالقيمة المعرفية للعمل لا تكمن في تتبّع حضور الطعام في النصوص العربية فحسب، بل في مساءلة الأنساق العميقة التي تجعل من الغذاء وسيطا بلاغيا وثقافيا فاعلا في بناء المعنى.

وكتاب العوادي يقدم إضافة نوعية للبلاغة العربية المعاصرة من خلال نقلها من «علم الأسلوب الصرف» إلى «بلاغة الحياة». تكمن القيمة العلمية للكتاب في قدرته على الربط بين «المحسوس» (الطعام) و«المجرد» (البلاغة)، مما يفتح آفاقا للدراسات الأنثروبولوجية في التراث العرب، إلا أن الدراسة تثير نقاشا نقديا حول «ذكورية الكرم» في التراث؛ حيث يظهر الرجل -غالبا- بطلا «وافر العطاء» والمرأة عاذلة «بخيلة»، وهو ما فككه العوادي ببراعة مبينا أن رؤية المرأة كانت «واقعية اقتصادية» تهدف لصيانة حياة العيال، بينما رؤية الرجل هي «فخرية استعراضية»[1].

كما أن الكتاب يطرح تساؤلا حول «أخلاقيات التطفيل»؛ فهل هو مجرد شراهة أم صراع طبقي ضد احتكار الثروة؟ يميل البحث إلى اعتباره «تمرد الفقراء» الذين جعلوا من

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص328.

ألسنتهم سلاحا لاختراق موائد الأثرياء[1]. إن منهج «الحفريات» الذي اتبعه المؤلف نجح في استنطاق صمت النصوص، لكنه يفتح الباب لمزيد من البحث في «بلاغة الجسد» وتأثير الحواس الأخرى في تشكيل العقل العربي.

في المجمل، يقدّم الكتاب نموذجا ناضجا لكيفية الاشتغال على التراث بمنهج معاصر، دون السقوط في إسقاطات تعسفية أو نزعة تحديثية فجّة. فهو يوازن بين احترام النصوص في سياقها الأصلي، وإعادة قراءتها في ضوء أسئلة النقد الثقافي، مما يجعل منه مرجعا مهما في دراسات البلاغة الثقافية.

الخاتمة:

ختاما، إن كتاب «الطعام والكلام» ليس مجرد جرد لأنواع المآكل، بل هو إثبات بأن العقل العربي كان «يطبخ» لغته بمقادير دقيقة من الحكمة والملح والجمال، لقد انتهت هذه الرحلة «الحفرية» إلى أن البلاغة ليست ترفا لفظيا، بل هي استجابة لضرورات الحياة والوجود، وكما بدأنا بـ «مفتحة» نختم بـ «تحلية» مستلهمة من روح التراث: إن الكلام الجميل هو أشهى غذاء للروح، وإن مائدة العلم هي الوحيدة التي كلما زاد آكلوها زادت بركتها ونفعها. وهل البلاغة في جوهرها إلا «عسل الحكمة» الذي يقطر من لسان بليغ، و«ملح المعرفة» الذي يصلح فساد الأيام، كما لا يصلح الطعام إلا بالملح»[2].

1. سعيد العوادي، الطعام والكلام، ص332.
2. نفسه، ص167.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- سعيد (العوادي)، الطعام والكلام: حفريات بلاغية ثقافية في التراث العربي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2023م.

© كل الحقوق محفوظة للمجلة

البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

المساهمون في العدد

- إدريس الخضراوي
- أيوب الطاهري
- بلقاسم الجطاري
- بوشعيب ملوك
- حسن المودن
- خديجة شقرون
- رشيد وديجي
- سعيد الفلاق
- شكري المبخوت
- صلاح الدين أشرقي
- عبد العاطي السطوري
- محمد بازي
- محمد حماني
- محمد عدناني
- محمد النوسفاوي
- محمد واقديم
- المصطفى كيتو
- معاذ بن طالب
- منير بورد
- يونس آيت ابراهيمي

الملفان المقترحان للعددين المقبلين

- البلاغة والتأويليات.
- الأدب وتكامل العلوم الإنسانية.